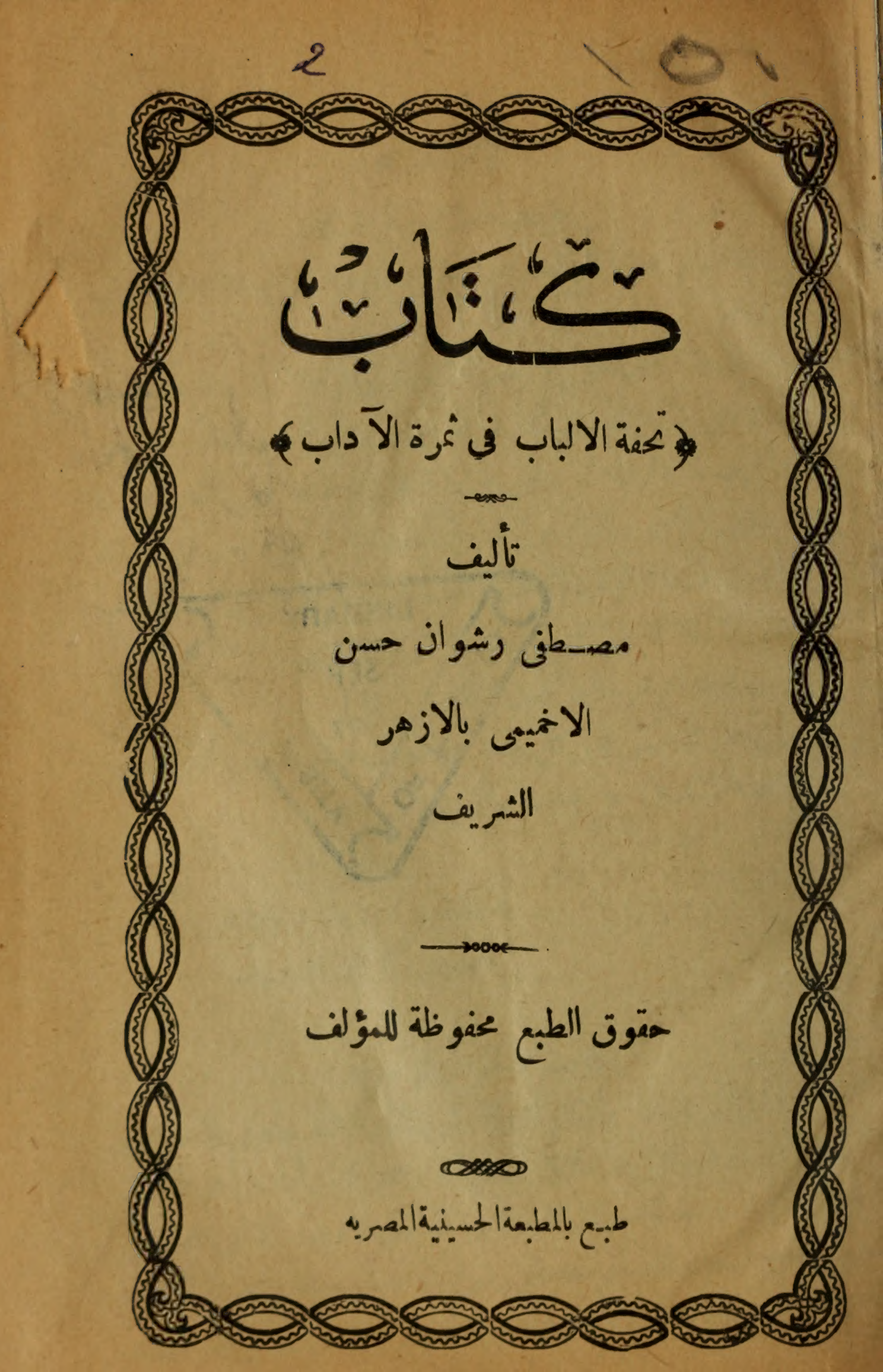


كتاب

﴿ تحفة الالباب في ثمرة الآداب ﴾

تأليف

مصطفى رشوان حسن

الاخميمى بالازهر

الشريف

طبع بالمطبعة الحسينية المصريه


LIBRARY
SEP
21
1977
UNIVERSITY OF TORONTO

﴿تقاريظ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى هدانا الى الصراط المستقيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد فقد اطلعت على (تحفة الالباب فى ثمرة الآداب) فوجدتها حاوية من منثور المصطفى أعلاه * ومن منظوم العرب أحلاه * ومن كلام الصحابة ارقه * ومن وصايا الحكماء أدقه * فهى كالعروس * تشتاق اليها جميع النفوس * فلو شامها الغزالى ماقدم على احيائه ولاعترف لهذا المؤلف بالفكر الثاقب * والذهن الرائق * ألا وهو حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى رشوان الاخميمى

وبالجملة فهذا السفر جدير بقول الشاعر

وسار مسير الشمس فى كل بلدة ✲ وهب هبوب الريح فى البر والبحر

نفع الله به المسلمين * بجاه خاتم الانبياء والمرسلين

كتبه

عبد الحميد شرف الدين الشاعر

مدرس بالازهر الشريف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أحمدك وأثنى عليك وأشكرك والشكر منك واليك وأصلى وأسلم على من بعثته ليتمم مكارم الاخلاق وعلى آله وصحبه الذين أبادوا أهل الشرك والنفاق أما بعد فقد وفق الله حضرة الفاضل الاديب الالمعى المحترم الكامل النجيب الشيخ مصطفى رشوان الاخميمى حفظه الله الى تأليف كتاب في فن الاخلاق هو فى بابه ولا غرو فريد الاشراق وقد تصفحت

كتابه الجليل فاذا هو خلو من الدعى والدخيل جمع تحرى الصدق وصدق التحرى وجزالة المعنى وجازة الالفاظ ترى أرج التحقيق منه عابقا وبدر التنميق فى منازله شارقا فقد بلغ شأو العلو فهو غنى عن الغلو اذ لا حاجة للاسد بالسلاح المدجج ولا للغانية باللباس المدبج نفع الله به المسلمين آمين

كاتبه

محمد سيد أحمد البرادعى

مدرس بالازهر

الشريف

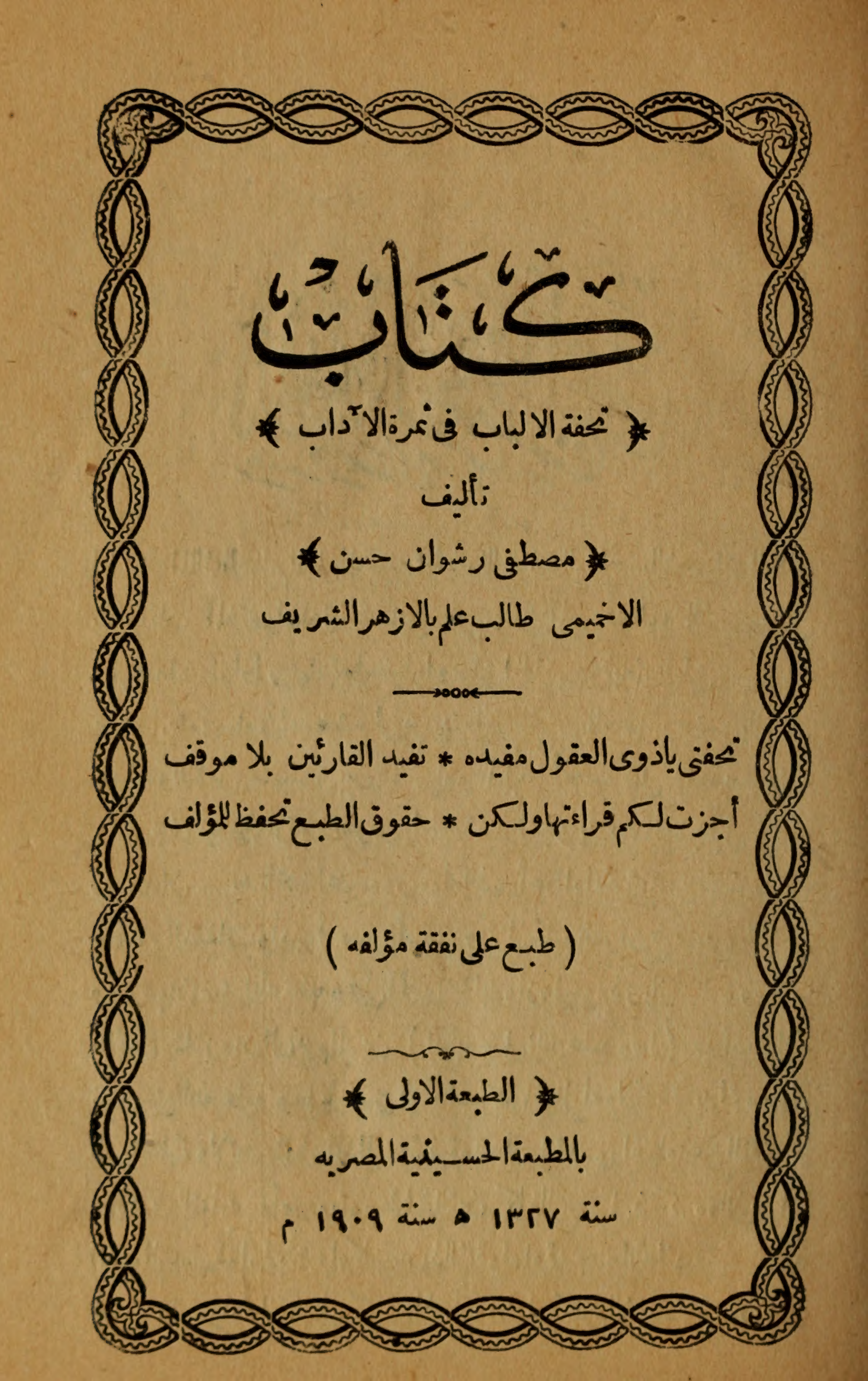
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل أدبنى ربى فاحسن تأديبى وبعد فالادب أعظم حلية وأقوى صلة وأحسن قربة الادب جميل بكل جهاته علما أو عملا أو تأليفا أو تعلما أو تعليما ومن أحسن ما أهدى الى العالم المتأدب ما جمعه الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى رشوان الاخميمى فقد جمع فوق غزارة المبنى ورقة المعنى ما يحتاج اليه المتعلم ويستعين به المعلم تعليما عصريا رقيقا ولا غرو فقد جمعته نفسه المتشبعة بالآداب والفضائل نسأل الله النفع به آمين

محمد شعبان

احد علماء الازهر

الشريف



كتاب

﴿ تحفة الالباب في ثمرة الآداب ﴾

تأليف

﴿ مصطفى رشوان حسن ﴾

الاخميمى طالب علم بالازهر الشريف

تحفتي ياذوى العقول مفيده * تفيد القارئين بلا موقف
أجزت لكم قراءتها ولكن * حقوق الطبع تحفظ للمؤلف

(طبع على نفقة مؤلفه)

﴿ الطبعة الاولى ﴾

بالمطبعة الحسينية المصريه

سنة ١٣٢٧ ﻫ سنة ١٩٠٩ م



الحمد لله الملك العظيم العلى الكبير الحميد اللطيف البادى بالاحسان العائد بالامتنان المغتفر اساءة الذنب بعفوه وجهل المسىء بحلمه الذى جعل معرفته اضطرارا وعبادته اختيارا وخلق الخلق من بين ناطق معترف بوحدانيته وصامت متخشع لربوبيته الذى قرن بالفضل رحمته وبالعدل عذابه والناس مدينون بين فضله وعذابه أحمده على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته فانه رضى الحمد شكرا لجزيل نعمائه وجليل آلائه واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أعطاه الله محاسن الاخلاق وجميل الصفات وأدبه أحسن تأديب وأنزل عليه القرآن فيه هدى للناس ونور مبين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين (آدابه صلى الله عليه وسلم) قد أدب الله نبيه صلى الله عليه وسلم باحسن الآداب كلها فقال له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وأمره بتوسط الحالتين كما قال جل ذكره والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقد جمع الله لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فى كتابه المحكم ونظم له مكارم الاخلاق كلها فى

ثلاث كلمات فقال خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ففى أخذه العفو صلة من قطعه والصفح عمن ظلمه وفى الامر بالمعروف تقوى الله وغض الطرف عن المحارم وصون اللسان عن الكذب وفى الاعراض عن الجاهلين تنزه النفس عن مماراة السفيه ومنازعة اللجوج ثم أمر تبارك وتعالى فيما أدبه باللين فى عريكته والرفق بأمته فقال واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى لا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فلما وعى عن الله عز وجل وكملت فيه هذه الآداب قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال صلى الله عليه وسلم فيما أدب به أمته وحضها عليه من مكارم الاخلاق وجميل الصفات وحسن المعاشرة واصلاح ذات البين وصلة الارحام فقال أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمنى واعطى من حرمنى وأصل من قطعنى وان يكون صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبراً وقد قال صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقعدوا على ظهور الطرق فان أبيتم فغضوا الابصار وافشوا السلام واهدوا الضلال وأعينوا الضعيف وقد قال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ثم قال الا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه وقال حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا امراضكم بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء وقال ما قل

وكفى خير مما كثر والهى وقال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقال اليد العليا خير من اليد السفلى وابداء بمن تقول وقال لاتجن يمينك على شمالك ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقال المرء كثير باخيه وقال افصلوا بين حديثكم بالاستغفار واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان وقال أفضل الاصحاب من اذا ذكرت أعانك واذا نسيت ذكرك وقال لا يؤم ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وان ماله من مالى ما أكل فافنى ولبس فابلى أو وهب فامضى وقال لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان وقال لو تكاشفتم ماتراقبتم وماهلك امرؤ عرف قدره وقال الناس كالا إبل مائة لاتجد فيها راحلة والناس كلهم سواء كاسنان المشط وقال رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقال خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة وخير المال عين ساهرة لعين نائمة وقال ما أملق تاجر صدوق وما أقفر بيت فيه خل وقال قيدوا العلم بالكتابة وقال زر غبا تزدد حبا وقال علق سوطك حيث يراه أهلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا أدب له لا عقل له ومن حديث عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبجل أحدا تبجيله لعمه العباس وكان عمر وعثمان رضى الله عنهما اذا لقيا العباس نزلا اعظاما له اذا كانا راكبين ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقم الرجل عن مجلسه ولكن ليوسع له وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه اذا قام له الرجل عن مجلسه لم يجلس فيه وقال لا يقم أحد لاحد عن مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم وقال أبو امامة الباهلى خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائهم فما قام له أحد منا بعد ذلك ومن حديث ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان

خرجت عليكم وأنتم جلوس فلا يقومن أحد منكم فى وجهى وان قمت فكما أنتم وان جلست فكما أنتم فان ذلك خلق من أخلاق المشركين وقال صلى الله عليه وسلم الرجل أحق بصدر دابته وصدر مجلسه وصدر فراشه ومن قام عن مجلسه ورجع اليه فهو أحق به وقال صلى الله عليه وسلم اذا جلس اليك أحد فلا تقم حتى تستأذنه وقال صلى الله عليه وسلم انما أحدكم مرآة أخيه فاذا رأى عليه أذى فليمطه عنه واذا أخذ أحدكم عن أخيه شيأ فليقل لا بك السوء وصرف الله عنك السوء (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة) هذا الحديث من الاحاديث الصحيحة الواردة عن حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة الوجيزة الجامعة للمعانى الكثيرة ولا عجب فى ذلك فقد أعطاه الله تعالى من الفصاحة والبلاغة وحسن المنطق وسلامة الفطرة ما أخرس به فصحاء قريش الذين كانوا بمصاقع الخطباء وأدهشهم بما تحداهم به من الفصاحة وبلاغة القرآن وما ذلك ببعيد على من أيده الله بالمعجزات وارسله ليخرج الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم

من هذه الكلمة النبوية يتبين للعاقل ان النصيحة هى القطب الذى دارت عليه رحى الدين الحق والدين الحق واحد فماذا بعد الحق الا الضلال بعث الله الانبياء بالنصيحة وأمر بها عباده أجمعين فما من نبى الا ابتدأ دعوة قومه بانه ناصح لهم وجميع الكتب السماوية ناطقة بذلك وقد تضمن معنى النصيحة قول سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه عليه لقومه ما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت فقاموا صلوات الله عليهم ببذلها ولم يألوا جهدا فى سياسة الامم حتى أنتجت سعادة من قبلها ممن كتب الله له الهداية وانحرف عن سماعها وقبولها من غلبت عليه الشقوة والغواية ولم يصد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم عن سبيل النصيحة ما كانوا

يقاسونه من الاذى و يلقونه من الشدائد والجفاء من قومهم بل أفاض الله على قلوبهم من درع الصبر وجلابيب اليقين والثبات ما هون عليهم البلايا وحبب اليهم تجرع الغصص من الجبابرة والمتمردين من قومهم فى طريق نصحهم وارشادهم ومن ثم كان الانبياء هم أشد الناس بلاء كما فى الحديث أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو آخر القائمين بالنصيحة حق القيام وكان هو أول مؤتمر بما يأتمر وأول منته عما ينهى هذه عقيدة يتوقف الاسلام عليها بل قد اعترف بها غير المسلمين وشهد له بها كفار قريش الذين كانوا هم أشد الناس له مناصبة وكفاحا ومظاهرة بالبغض والعداوة وأوسع دائرة فى فنون ايذائه و يليهم اليهود والنصارى الذين كانوا يعرفونه و يجزمون بانه النبى المنعوت فى كتبهم الموصوف على ألسنة أنبيائهم فقد كان لهم أيضا أوفر نصيب من عداوته كل هؤلاء الاعداء الالداء لم يتهموه صلى الله عليه وسلم وحاشاه بشيء من مساوى الاخلاق ومثالب الخصال التى تخل بالآداب الانسانية أو تنافى مقام الرسالة فاعلموا عليه صلى الله عليه وسلم الا التخلى عن الرذائل والتحلى بانواع الفضائل من صدق الحديث واداء الامانة وحفظ الجوار و وفاء العهد وانجاز الوعد وصلة الارحام واطعام الطعام وافشاء السلام ولين الجانب والحلم والصفح والصبر على ما يكره من المشاق والاعتدال فى الرضا والغضب واللين فى موضعه والشدة كذلك وعدم الانتقام لنفسه والحب فى الله والبغض فى الله الى غير ذلك من الاخلاق الكريمة التى تأهل بها المدح الله اياه عليها بقوله عز وجل وانك لعلى خلق عظيم وكذلك كانت الانبياء الكرام قبله عليه وعليهم الصلاة والسلام فنحن ولا فخر الامة الوسط الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله نعظم أنبياء الله جميعا ولا نحط من قدرهم ولا

نعلو بهم فوق قدرهم فلله الحمد على هذه العقيده
انظر أيها القارئ الى حسن الادب الذى بعث الله به سيد الفصحاء صلى الله عليه وسلم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون انظر أيها القارئ الكريم كيف نهانا الله عن سب معبوداتهم الباطلة التى هى عبارة عن أحجار منحوتة وتماثيل مصنوعة رفعوها ونصبوها ليعبدوها ولا هى تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيأ فنهانا الله عن سب أباطيلهم حتى لا يغيظهم ذلك فيجترؤا على الله بالسب وهم لا يبالون بذلك اذ لا دين لهم يمنعهم عن ذلك وقد اقتضت حكمته تعالى ان يمهلهم ولا يعاجلهم بالانتقام فسبحانه ما أوسع حلمه وانما يعجل بالعقوبة على من يخشى الفوت واذا تأملت ايها القارئ الكريم فى هذا الادب الحسن الذى جاء به القرآن فى النهى عن سب الآلهة الباطلة التى اتخذت شركاء مع الله علمت ان كثيرا من المسلمين قد نبذوا هذا الادب الجيل وراء ظهورهم حتى يتكلم المسلم مع أخيه بالكلمة تغضبه فيسب آباءه وامه فيسب الآخر دينه وملته ومذهبه على رؤس الاشهاد ولا يردعه عن ذلك رادع من العقل ولا من القرآن ولا من الحديث ولا من الهيئة الاجتماعية فالى الله وحده المشتكى فاللهم صبرا جميلا على ما نابنا به الزمان من تغير الاحوال

﴿ فضيلة الآداب ﴾

أوصى بعض الحكماء بنيه فقال الادب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويعز بلا عشيرة ويكثر الانصار لغير ذرية فالبسوه حلة وتزينوه حلة يؤنسكم فى الوحشة ويجمع بكم القلوب المختلفة (وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه)

البس اخاك على عيوبه * واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيه * وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفاضلا * وكل الظلوم الى حسيبه

(وقال شبيب بن شبه) اطلبوا الادب فانه زيادة للعقل ودليل على المروءة وصاحب فى الغربة ومؤنس فى الوحشة وصلة فى المجالس (وقال عبد الملك ابن مروان) لبنيه عليكم بالادب فانكم ان احتجتم له كان لكم مالا وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا (وقال بعض الحكماء) اعلم ان جاها بالمال يصحبك ما صحبك المال وان جاها بالادب غير زائل عنك (وقال ابن المقنع) اذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك فان الكرامة تزول بزوالهما وانما يعجبك اذا أكرموك لدين أو أدب (وقال الاحنف بن قيس) رأس الادب المنطق ولا خير في قول الا بفعل ولا في مال الا بجود ولا فى صديق الا بوفاء ولا فى فقه الا بورع ولا فى صدق الا بنية (وقال مطلقة الزبيدى) لا يستغنى الادب عن ثلاث واثنتين فاما الثلاثه فالبلاغة والفصاحة وحسن العبادة واما الاثنين فالعلم بالاثر والحفظ للخبر (وقالوا) الحسب محتاج الى الادب والمعرفة محتاجة الى التجربة (وقالوا) ماورث الآباء الابناء خير من الادب لان بالادب يكسبون المال و بالجهل يتلفونه (وقال الفضل بن عياض) رأس الادب معرفة الرجل قدره (وقالوا) حسن الخلق خير قرين والادب خير ميراث والتوفيق خير قائد (وقال سفيان الثورى) من عرف نفسه لم يضره ماقال الناس فيه (وقال أنوشروان) للميد وهو العالم بالفارسية ما كان أفضل الاشياء قال الطبيعة النفيسة تكتفى من الادب بالرائحة ومن العلم بالاشارة وكما يموت البذر فى السباخ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة قال له صدقت ونحن لهذا قلدناك ماقلدناك (وقيل لازدشير) الادب أغلب أم الطبيعة فقال

الادب زيادة في العقل ومنبهة للرأى ومكسبة للثواب والطبيعة أملك لان بها الاعتقاد وبها الفراسة وتمام الغذاء (وقيل) لبعض الحكماء اى شئ أعون للعقل بعد الطبيعة المولدة قال ادب مكتسب (وقالوا) الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب الرواية وهو الفرع ولا يتفرع شئ الا عن أصله ولا ينظر الا الاصلى المادة (قال الشاعر)

ما السيف الازهر لو تركته * على الخلقة الاولى لما كان يقطع

(وقال آخر)

ما وهب الله لامرؤ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فان فقدا * فان فقد الحياة أحسن به

(وقال ابن عباس رضى الله عنه) كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسعك جهله وكفاك من علم الادب ان ترد الشاهد والمثال (وقال ابن قتيبة) اذا أردت أن تكون أديبا فتفنن فى العلوم (وقالت الحكماء) اذا كان الرجل طاهر الاثواب كثير الآداب حسن المذهب تأدب بادبه وصلح بصلاحه جميع أهله وولده (قال الشاعر)

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويفسدهم رب الفساد اذا فسد

يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

(سئل ديجاس) أى الخصال احمد عاقبة قال الايمان بالله وبر الوالدين ومحبة العلماء وقبول الادب

(في رقة الادب)

(قال أبو بكر بن أبى شيبة) قيل للعباس بن عبد المطلب انت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر منى وانا اسن منه (وقيل لابى وائل) أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم قال أنا أكبر منه سنا وهو أكبر منى عقلا (وقال) أبان بن عثمان لطويس المغنى أنا أكبر أم أنت قال جعلت فداك

شهدت زفاف أمك المباركة (وقيل) لعمرو بن ذر كيف بر ابنك بك قال مامشيت نهارا قط الا مشى خلفي ولا ليلا الا مشى امامي ولا رقى عليه وأنا تحته وقال ابن عبد ربه

أدب كمثل الماء لو أفرغته * يوما لسال كما يسيل الماء

(وقال أحمد بن طاهر) قلت لعلي بن يحيي ما رأيت أكمل منك أدبا قال كيف لو رأيت اسحق بن ابراهيم فقلت ذلك لاسحق قال كيف لو رأيت ابراهيم بن المهدى فقلت ذلك لابراهيم فقال كيف لو رأيت جعفر بن يحيي (وقال) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال لى رجاء بن حيوة ما رأيت أكرم أدبا ولا أكرم عشيرة من أبيك سمرت عنده ليلة فبينما نحن كذلك اذ غشى المصباح ونام الغلام فقلت يا امير المؤمنين قد غشى المصباح ونام الغلام فلو أذنت لى اصلحته فقال انه ليس من مروءة الرجل ان يستخدم ضيفه ثم حط رداءه عن منكبيه وقام الى الدبة فصب من الزيت فى المصباح وأشخص الفتيلة ثم رجع فلم يقم له أحد فقال جرير بن عبد الله يا امير المؤمنين اعزم علينا كلنا نقوم فنتوضأ قال صدقت ولا علمتك الا سيدا فى الجاهلية فقيها فى الاسلام قوموا فتوضؤا (قال الاصمعى) حدثنى عثمان الشحام قال قلت للحسن يا ابا سعيد قال لبيك قلت اتقول لى لبيك قال انى أقولها لخادمى (قال الشاعر)

يا حبذا حين تمسى الريح باردة * زادى أنسى وفتيان به هضم

يخدمون كرام في مجالسهم * وفي الرجال اذا رافقتهم خدم

وما أصاحب من قوم فاذكرهم * الا يزيدهم حبا الى هم

(أدب الحديث والاستماع والصدق فيه وتجنب الكذب)

(قالت الحكماء) رأس الادب كله حسن الفهم والتفهم والاصغاء للمتكلم (وذكر الشعبى) قوما فقال ما رأيت مثلهم اشد تناولا فى مجلس ولا أحسن

فهمامن محدث (وقال فيما يصف به عبد الملك بن مروان) والله ما علمته الا آخذا بثلاث تاركا لثلاث آخذا بحسن الحديث اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبيسير المؤنة اذا خولف تاركا لمجاوبة اللئيم ومماراة السفيه ومنازعة اللجوج (وقال بعض الحكماء) لابنه يابني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث وليعلم الناس انك أحرص على ان تسمع منك على أن تقول فاحذر ان تسرع فى القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل حتى يعلم الناس انك على فعل مالم تقل أقرب منك الى قول مالم تفعل (وقالوا) من حسن الادب أن لا تغالب أحدا على كلامه واذا سئل غيرك فلا تجب عنه واذا حدث بحديث فلا تنازعه اياه ولا تقتحم عليه فيه ولا تره انك تعلمه واذا كلمت صاحبك فأخذته صحبتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث (وقال الحسن البصرى) حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم (وقال ابو عباد) اذا أنكر المحدث على السامع فليسئله عن مقاطع حديثه والسبب الذى أجرى ذلك له فان وجده يقف على الحق تم له الحديث والا قطعه عنه وحرمه مؤانسته وعرفه ما فى سوء الاستماع من الفشولة والحرمان للفائدة (وعن عائشة رضى الله عنها) قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه (وقيل) لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق (وقال الله تعالى مبشرا للصادقين) هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم الله وبين لهم المغفرة والاجر العظيم (وقال عمر رضى الله عنه) عليك بالصدق وان قتلك وما أحسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو انه * احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فاغبى الورى * من اسخط المولى وارضى العبيد

وقال اسماعيل بن عبيد الله لما حضرته الوفاة وجمع بنيه وقال لهم يابنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل احدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن

(وقال محمود الوراق)

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدنى من الرب

(وقيل) الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة الابه (وقال ارسطاطاليس) أحسن الكلام ماصدق فيه قائله وانتفع به سامعه (وقال المهلب) ما السيف الصارم فى يد الشجاع باعزله من الصدق وكان يقول على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل احد الا من الساعين ويقال لو صدق العبد فيما بينه وبين ربه حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا فى السموات والارض وقيل من لزم الصدق وعود لسانه عليه وفق (ويقال) الصدق بالحر أحرى (وقال عتبة بن أبى سفيان) اذا اجتمع فى قلبك أمران لاتدرى أيهما أصوب فانظر أيهما اقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة النفس (وقال ارسطاطاليس) الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب (وكان نقش خاتم ذى يزن) وضع الخد للحق عز (وامتدح ابن ميادة) جعفر بن سليمان فامر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشى غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن قال الوليد ابن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ماقبلتها لله ولكن قبلتها للنفسى فقال والله لاضرك الصدق عندى اعطوه مائة أخرى (وقال عامر العدوانى) فى وصيته انى وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعنى من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الا جاء على ظنه (وخطب بلال) لاخيه امرأة قرشية فقال

لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فاغنانا الله وانا أخطب اليكم فلانة لاخى فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله اكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخى صدقت فانكحك الصدق (وخطب الحجاج) فاطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه ان يخلى سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

﴿ آداب المجالسة وحسن المعاشرة ﴾

(قال المهلب) العيش كله فى الجليس الممتع وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه اذا قام له الرجل عن مجلسه لم يجلس فيه ويقول لا يقم أحد لاحد عن مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم (وقال سعيد بن العاص) ما مددت رجلى قط بين جليسى ولا قمت حتى يقوم (وقال ابراهيم النخعى) اذا دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه أهله وطرح أبو قلابة لرجل جلس اليه وسادة فردها فقال أما سمعت الحديث (لا ترد على أخيك كرامته) (وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه) لا يأبى الكرامة الا حمار (وقال سعيد بن العاص) لجليسى على ثلاث اذا دنا رحبت به واذا جلس وسعت له واذا حدث أقبلت عليه وقال انى أخاف ان يمر الذباب على جليسى مخافة أن يؤذيه (قال ابن عدى) دخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فاشار اليه بوسادة فلم يجلس عليها فقال له

مامنعك ياأحنف أن تجلس على الوسادة فقال ياأمير المؤمنين ان فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال لا تسعى للسلطان حتى يملك ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وسادة واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين (وقال الحسن) مجالسة الرجل عن غير أن يسئل عن اسمه واسم أبيه مجالسة النوكى ولذلك قال شبيب بن شبه لابى جعفر حين لقيه فى الطواف وهو لا يعرفه فاعجبه حسن هيئته وسمته أصلحك الله انى أحب المعرفة واجلك عن المسئلة فقال أنا فلان بن فلان (وقال) زياد ما أتيت مجلسا قط الاتركت منه مالو جلست فيه لكان لى وترك مالى أحب الى من أخذ ماليس لى (وقال) اياك وصدور المجالس وان صدرك صاحبها فانها مجالس قلعة (وقال) لان أدعى من بعد الى قرب أحب الى من أن أقصى من قرب الى بعد (ذكروا) أن أبا السموأل كان يوما عند عبد الله بن طاهر وعنده اسحاق بن ابراهيم فاستدنى عبد الله اسحاق فناجاه وطالت النجوى قال فاعترتنى حيرة فيما بين القعود على ماهما عليه والقيام حتى انقطع مابينهما وتنحى اسحاق الى موقفه نظر عبد الله الى فقال

اذا النجيان سرا عنك أمرهما ✲ فابرح بسمعك بجهل مايقولان
ولا تحملهما ثقلا لخوفهما ✲ على تناجيهما بالمجلس الدانى

فما رأيت أكرم منه ولا ارفق ادبا ترك مطالبتى فى هفوتى بحق الامراء وادبنى أدب النظراء

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة وحسن الخلق والادب فعن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا (وكان) القعقاع بن شور الهذلى اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوائجه ودخل

يوما على معاوية فامر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له في المجلس فدفعها للذى فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع ابن شور ☆ وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقا بخير ☆ وعند الشر مطراق عبوس

(وقال ابن عباس) رضى الله عنهما لجليسى على ثلاث أن ارمقه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى له اذا احدث ويقال لكل شىء محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار ان لم يصبك من عطره أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء مثل الكير ان لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح (ووصف المأمون) رجلا يحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أول مايتعين على الجليس الانصاف فى المجالسة بان يلحظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما فى محله (وقال صلى الله عليه وسلم) ذو العلم والسلطان أحق بشرف المنزل (وقال جعفر الصادق) رضى الله عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس في الصدر وينبغى للانسان ان لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه ان يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ماوافق الحال (وأوجبوا) على المستمع انه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان مر بسمعه أولا ان لا يقطع عليه مايقوله بل يسكت الى ان يستوعب منه القول وعدوا ذلك من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن فى حفظه (وقيل) ثمانية ان اهينوا فلا يلوموا الا أنفسهم الجالس فى مجلس ليس له بأهل والمقبل

بحديثه على من لا يسمعه والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر على رب البيت فى بيته والآتى الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان ويتعين على الجليس أن يراعى ألفاظه ويكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا اذا كان جليسه ذو هيئة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة (وقال أبو العباس السفاح) ما رأيت أغزر من فكر أبى بكر الهذلى لم يعد على حديثا قط وقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما اذ عصفت الريح فارمت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلى ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلى فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وانما لى قلب واحد فلما غمره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن لحادث فيه مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا التفت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لارفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة (وكان ابن خارجة) يقول ما غلبنى أحد قط غلبة رجل يصغى الى حديثى (وفى نوابغ الحكم) أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك (وقيل) من حق الحاكم اذا تثاءب أو القى المروحة من يده أو مد رجله أو تمطى أو اتكأ أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم من بحضرته (وكان ازدشير) اذا تمطى قام جلساؤه ومن حقه أيضا أن لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر (قال روح بن زنباع) أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما اعدت عليه حديثا مرتين الا مرة واحدة فقال لى قد سمعته منك (وعن الشعبى) قال ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه (وقال) عطاء بن أبى رباح ان الرجل ليحدثنى بالحديث فانصت له كانى لم أسمعه قط وقد سمعت به قبل أن يولد (وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه) ان المسلمين اذا التقيا

فضحك كل واحد منهما فى وجه صاحبه ثم أخذ بيـده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر (وقيل) البشر يدل على السخاء كما يدل النَّور على الثمر (وقيل) من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحـد منهم ولـكن اجعل لـكل واحـد منهم نصيبا (وقالوا) اذا أردت حسـن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة و وجه الرضا والبشاشة ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على احد وتحفظ من تشبيك اصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصابعك فى انفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهازل خادمك ولا ولدك فيسقط وقارك عندهما واذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتـك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى ورائك وأهدئ غضبك وتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حذر واحـذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهى ولا يحملنك لطفه بك على أن تدخل بينه و بين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده واياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك كرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالزم ترك الغيبة ومجانبة الـكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمذاكرة باخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشا بحضرتهم ولا تخلل أسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم وخرافاتهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم واياك أن تمازح لبيبا أو سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه

يجترئ عليك ولان المزاح يخرق الهيبة و يذهب بماء الوجه و يعقب الحقد و يذهب بحلاوة الايمان والود و يشين فقه الفقيه و يجرى السفيه و يميت القلب و يباعد عن الرب و يكسب الغفلة والذلة ومن بلى في مجلس بمزاح أولغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفرله ما كان فى مجلسه ذلك

﴿ آداب المماشاة ﴾

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلى كرم الله وجهه و رجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته في المشى مشى فيعزمان عليه ان لا يمشى فيأبى و يقول ما أنتم باقدر منى على مشى وما أنا باغنى منكم عن أجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسى (وقيل) لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا فى ثلاث اذا ساروا ليلا أوخاضوا سيلا أو واجهوا خيلا (وقال) على رضى الله عنه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته (وجه) هشام بن عبد الملك ابنه على ولاية ووجه معه ابن أخيه وأوصى كل منهما بصاحبه فلما قدما عليه قال لابن أخيه كيف رأيت ابن عمك قال ان شئت اجملت وان شئت فسرت قال بل اجمل قال عرضت بيننا جادة طريق فتركها كل واحد منا لصاحبه فما ركبناها حتى رجعنا اليك (وقال يحيي) بن أكثم ماشيت المأمون يوما من الايام فى بستان فكنت من الجهة الذى تجاه الشمس فلما انتهى الى آخره واراد الرجوع أردت ان أدور الى الجانب الذى يستره من الشمس فقال لا تفعل ولكن كن بحالك حتى استرك كما سترتنى فقلت يا أمير المؤمنين لو قدرت

أن اقيك حر النار لفعلت فكيف الشمس فقال ليس هذا من كرم الصحبة ومشى ساترالى من الشمس كما سترته (وقيل لزياد) انك تصاحب حارثة بن زيد وهو يواقع الشراب فقال كيف لا أصاحبه وماسألته عن شيء قط الاوجدت عنده منه علما ولا استودعته سرا قط فضيعه ولا راكبني قط فمست ركبته ركبتي (قال محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز) خرجت مع موسى الهادى امير المؤمنين من جرجان فقال لى أماان تحملني وأماان احملك فعلمت ماارادفانشدته أبيات ابن صرفة وهى

أوصيكم بالله اول وهلة ✲ وأحسابكم والبر بالله أول
وان قومكم سادوا فلاتحسدوهم ✲ وان كنتم أهل السعادة فاعدلوا
وان انتم أعوذتم فتعففوا ✲ وان كان فضل المال فيكم فافضلوا
وان نزلت احدى الدواهى بقومكم ✲ فانفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وان طلبوا غرمافلاتحرموهمو ✲ وما حملوكم فى الملمات فاحملوا

قال فامرلى بعشرين الف درهم (وقيل ان سعيد بن سالم راكب موسى الهادى والحربة فى يدعبدالله بن مالك وكانت الريح تسفى التراب وعبدالله يلحظ موضع مسير موسى فيتكلف أن يسير الى محاذاته واذاحاذاه ناله ذلك التراب فلما طال ذلك عليه اقبل على سعيد بن سالم فقال أما ترى مانلقى من هذا الخائن قال والله ياأمير المؤمنين ماقصر فى الاجتهاد ولكن حرم التوفيق)

﴿التأدب بالزمان﴾

قالت الحكماء كفى بالتجارب تأديبا و بتقلب الايام عظة (وقالوا) كفى بالدهر مؤدباو بالعقل مرشداقال الشاعر

أحاولت ارشادى فعقلى مرشد ✲ أم استمت تأديبى فدهرى مؤدبى

وقال آخر

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

كم قد أذل كريم قوم ليس له منهما انتصار

من ذايد الدهر لم تنله أو طمنت به الديار

كل عن الحادثات مغض وعنده للزمان ثار

وقال آخر

وما ابقت لك الايام عذرا ✡ وبالايام يتعظ اللبيب

(وقالوا) كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقى (وقالوا) كفى الزمان مخبرا لذوى الالباب ما جربوا (وقيل لعيسى ابن مريم) من أدبك قال ما ادبنى احد رأيت الجهل قبيحا فاجتنبته (روى عن انس بن مالك) انه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك اشرف يوما من كوة في قصره فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

اف للدنيا اذا كانت كذا ✡ أنا منها في بلاء واذى

ان صفا عيش امرئ فى صبحها ✡ جرعته ممسيا كاس الردى

ولقد كنت اذا ماقيل من ✡ انعم العالم عيشا قيل ذا

(وقال يونس بن ميسرة) لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا

زمان الا بكيناله ومن ذلك قوله .

رب يوم بكيت منـه فلما ☆ صرت فى غيره بكيت عليه

وقال غيره

وما مر يوم ارتجى فيه راحة ☆ فاخـبره الا بكيت على أمسى

(وقال على رضى الله عنه) ماقال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأله الدهر يوم سوء (لطيفة) حكى ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجـة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالتـه فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من احبار بنى اسرائيـل فشكاله فقال لا اجـد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها اين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل قال ولم لم تدع عليـه وقد فجعك في بيضها قالت هو كذلك فمازال بها حتى أثار غضبها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشـدة ويحمد الله تعالى ويعـلم أن النصر مع الصـبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج عاجلا لقوله صلى الله عليه وسـلم لن يغلب عسر يسران

(ومن كلام الحكماء) ماجوهـد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثـل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثـل الكبر وما استجمعت الامور بمثل الصبر (وكان يقال) من تبصر تصبر وان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصـبر ولا دواء لداء الدهر الا الصبر (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصـبر ستر للكروب

وعون على الخطوب (وعن على رضى الله عنه) انه قال الصبر مطية لاتدبر وسيف لايكل (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعائشة رضى الله عنها ياعائشة ان الله تعالى لم يرض من اولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفنى الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (وأنى والله لاصبرن كما صبروا) فان النبى صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر اسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا (فائدة) اختلف أهل العلم فى الانبياء أولوا العزم على اقوال فقال مقاتل هم نوح وابراهيم واسحاق و يعقوب و يونس وأيوب صلوات الله وسلامه عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام و يقال ما الذى صبروا عليه حتى سماهم الله أولوا العزم فاقول (ذكر ماصبروا عليه) أما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف فى لبد و يلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه و يدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يابنى أنظر هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه ياابت مكنى من العصا فاخذها من أبيه وضرب بها نوح عليه السلام شج بها رأسه وسال دمه على وجهه فقال رب قد ترى مايفعل بى عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرنى الى ان تحكم فاوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك الخ وفي قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضعه فراجعه ان شئت فهذا زبدة صبر نوح وانتصاره على قومه (وأما ابراهيم) فانه لما كسر الاصنام وغيرها من معبودات قومه لم يروا فى قتله ونصرة الهتهم ابلغ من احراقه فاخذوه

وحبسوه ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم ان احتطبوا الاحراق ابراهيم فلم يتخلف أحد وفعلوا ذلك اربعين يوما حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجبال وسدوا ابواب الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهيبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهيبها ثم بنوا بيتا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البناء فرفع طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبى الله ونعم الوكيل وكان عمره اذ ذاك ستة وعشرين سنة فنزل عليه جبريل وقال ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال له سل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فاخرج الله له من الارض ماء عذبا وأقام فى ذلك الموضع سبعة ايام ونجاه الله ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء فهذه ثمرة صبره ثم جاءته قصة ذبح ولده فقابل أمر ربه بالرضا والتسليم وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة (وأما يعقوب) عليه السلام فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه فقال صبر جميل وكذلك يوسف لما ابتلاه الله بالقائه فى الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن ومكثه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك في الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة (وأما أيوب) عليه السلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله فقال رب مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله منه ثباته على هذه الحالة طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمانية عشر سنة وما شكى الى مخلوق ما نزل به دعا الله بالطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومحنه

من أقسام كرمه ما يكل عنه الوصف حيث قال له انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلولم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من ادنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن عداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه الله تعالى صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا (قال النووى رحمه الله) لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة (وقيل) الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب (وقال ابن عيينة) الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح (وقيل) تزوج مغن بنائحة فسمعها يوما تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك (وقيل) الحوادث الممضية مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة (قال الشاعر)

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ✲ ولكن عارا ان يزول التجمل

﴿ آداب تشميت العاطس ﴾

من حديث أبى بكر بن أبى شيبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشمت العاطس حتى يحمد الله فان لم يحمد فلا تشمته وقال اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه (وقال) على رضى الله عنه يشمت العاطس الى ثلاث فان زاد فهو داء يخرج من رأسه (عطس) ابن عمر رضى الله عنه فقالوا يرحمك الله فقال يهديكم الله ويصلح بالكم (عطس على رضى الله عنه) فحمد الله فقيل له يرحمك الله فقال يغفر الله لنا

ولكم (وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اذا عطس أحدكم فشمتوه ثلاثا فان زاد فقولوا له انك مضنوك وقال بعضهم التشميت مرة واحدة (وفى الموطا) من حديث مالك بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عطس فشمته ثم ان عطس فشمته ثم ان عطس فشمته ثم ان عطس فقل انك مضنوك وعطس بفتح الطاء ومضارعه بكسرها والاسم العطاس بضم العين قال ثعلب معناه أبعد الله عنك الشماتة وجنبك مايشمت به عليك ومعناه بالمهملة جعلك الله على سمت حسن لان العطاس يحل مرابط البدن ويفصل معاقده فمعنى رحمك الله أعطاك رحمة ترجع بها الى حالك الاولى ويرجع بها كل عضو الى سمته انتهى باختصار

﴿آداب عيادة المريض وفضلها﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الجنازة وطائع والديه ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة (مرض) بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار (وقيل) مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك مابك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بأنس العافية وأعقبك دوام الصحة (وقيل) ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قال الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد
والله لوان القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

وعلى الثانى

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة لك مثل اللحظ بالعين
لاتبرمن عليلا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تساءل بحرفين

(مرض أبو عمرو بن العلاء) فدخل عليه رجل من أصحابه فقال له أريد ان أساهرك الليلة فقال له أنت معافى وأنا مبتلى فالعافية لا تدعك أن تسهر والبلاء لا يدعني ان أنام وأسأل الله ان يهب لاهل العافية الشكر ولاهل البلاء الصبر (ودخل كثير عزة) على عبد العزيز بن مروان وهو مريض فقال لوان سرورك لايتم الا بأن تسلم واسقم لدعوت ربى أن يصرف مابك الى ولكن أسئل الله أيها الامير العافية ولى فى كنفك النعمة فضحك وأمر له بجائزة فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفى وتلادى

(وكتب رجل من أهل الادب) الى عليل

نبئت انك معتل فقلت له * نفسى الفداء له من كل محذور
ياليت علته بى ثم كان له * أجر العليل وانى غير مأجور

وكتب آخر الى عليل

وقيناك لو يعطى الهوى فيك والمنى
لكان بنا الشكوى وكان لك الاجر

(وكان شاعر) يختلف الى يحيى بن خالد و يمتدحه فغاب عنه أياما لعلة عرضت له فلم يفتقده يحيى ولم يسأل عنه فلما أفاق الرجل من علته كتب اليه يقول

أيهاذا الامير أكرمك الله ✡ وأبقاك لى بقاء طويلا
أجميلا تراه أصلحك الله ✡ لكيما أراه أيضا جميلا
اننى قد أقمت عنك قليلا ✡ لا ترى منفذا اليك رسولا
الذنب فما علمت سوى الشكر لما قد أتى أولتهيب جزيلا
أم ملالا فما علمت لك للحا ✡ فظ مثلى على الزمان ملولا
قد أتى الله بالصلاح فما أنكر ✡ ت مما عهدت الا القليلا

وأكلت الدراج وهو غداء ✡ أفلت علني عليه أفولا
وكاني قدمت قبلك آتيـ ـك غدا ان أجد اليك سبيلا

(فكتب له الوزير يعتذر)

رفع الله عنك نائبة الدهـ ـر وحاشاك ان تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وماذا * لك من العذر جائزا مقبولا
ولعلى لو قد علمت لعاود * تك شهرا كان ذاك قليلا
فاجعلن لى الى التعليق بالعذ * ر سبيلا ان لم أجد سبيلا
فقديما ماجاء ذو الفضل * بالفضل وماسامح الخليل خليلا

(وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر)

أعزيز علىّ بأن أراك عليلا * أوان يكون بك السقام نزيلا
فوددت انى مالك لسلامتى * فأعيرها لك بكرة وأصيلا
فتكون تبقى سالما بسلامتى * وأكون مما قد عراك بديلا
هذا أخ يشتكى ما تشتكى * وذاك الخليل اذا أحب خليلا

ومرض يحيى بن خالد فكان اسماعيل بن صبيح اذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ثم يخرج فيسئل الحاجب عن منامه وشرابه وطعامه فلما أفاق قال يحيى ماعادنى فى مرضى هذا الا اسماعيل بن صبيح (وقال سفيان الثورى) حمق القراء أشد على المرضى من امراضهم يجيؤن فى غير وقت ويطيلون الجلوس (ودخل رجل) على عمر بن عبد العزيز يعوده فى مرضه فسأله عن علته فلما أخبره قال من هذه العلة مات فلان ومات فلان فقال عمر اذا عدت المرضى فلا تنع لهم الموتى واذا خرجت عنا فلا تعد الينا (وقال) ابن عباس اذا دخلتم على الرجل وهو فى الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن ولقنوه الشهادة ولا تضجروه (ومرض الاعمش) فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله فكتب قصته فى كتاب وجعله عند رأسه فاذا سأله احد عن حاله قال له

عندك القصة فى الكتاب فاقرأها (ومرض) محمد بن عبد الله بن طاهر فكتب اليه أخيه عبد الله

انى وجدت على جفا * ئك من فعالك شاهدا
انى علات فما فقد * ت سوى رسولك عائدا
ولو اعتللت فلم أجد * سببا اليك مساعدا
لااستشعرت عينى الكرى * حتى أعودك راقدا

(فأجابه)

كحلت مقلتى بشوك القتاد * لم أذق حرمة لطعم الرقاد
ياأخى الباذل المودة والنا * زل من مقلتى مكان السواد
منعتنى عنك رقة قلبى * من دخولى اليك فى العواد
لو باذنى سمعت منك أنينا * لنفسى مع الانين فؤادى

(ولمحمد بن يزيد)

ياعليلا أفديك من ألم العلة هل لى الى اللقاء سبيل
ان يحل دونك الحجاب فما * يحجب عنى بك الضنا والعويل

(وأنشد محمد) قال أنشدنى أبو دهمان لنفسه وقد دخل على بعض الامراء يعودهم

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد
نقيك الذى تخفى من السقم أوتبدى
بنامعشر العواد مابك من أذى
فان أشفقوا فأقول فبى وحدى

(وكتب أبو تمام الطائى الى مالك بن طوق)

كم لوعة للندى وكم قلق * للحمد والمكرمات فى قلقك
ألبسك الله منه عافية * فى نومك المعترى وفى أرقك

يخرج من جسمك السقام كما * أخرج ذم الفعال من خلقك

(ودخل محمد بن عبد الله على المتوكل فى مرض له يعوده) فقال

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه عرض

فليت ان الذى يعروه من مرض

بالعائدين جميعا لا به المرض

فبالامام لنا من غيرنا عوض

وليس فى غيره منه لنا عوض

فما أبالى اذا ما نفسه سلمت * لو باد عباد الله وانقرضوا

(وقال آخر فى بعض الامراء)

واعتل فاعتلت الدنيا لعلته

واعتل فاعتل فيه البأس والكرم

لما استقل أثار المجد وانقشعت

عنه الضبابة والاحزان والسقم

(وبلغ مجنون ليلى انها بالعراق مريضة) فقال

يقولون ليلى بالعراق مريضة * فمالك تجفوها وأنت صديق

شفى الله مرضى بالعراق فاننى * على كل شاك بالعراق شفيق

(ولمحمد بن عبد الله بن طاهر)

ألبسك الله منه عافية * تغنيك عن دعوتى وعن جلدك

سقمك ذا الالعلة عرضت * بل سقم عينيك رد فى جسدك

(وقال غيره)

يا أملى كيف أنت من ملك * وكيف ما تشتكيه من سقمك

هذان يومان لى أعدهما * مذ لم يلح لى بروق مبسمك

حسدت حماك حين قال لها * بأنها قبلتك فوق فمك

(وقال سحيم)

يجمعن شتى من ثلاث وأربع * وواحدة حتى كملن ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يعدنني
الا انما بعض العوائد دائيا

(وللعباس بن الاحنف)

لا بك السقم ولكن كان بي * وبنفسي وبأمي وأبي
قيل لي انك صدعت فما * خالطت سمعي وبي

(وأنشد محمد بن يزيد لعلية بنت المهدي)

تمارضت كي أشجى ومابك علة
تريدين قتلي قد ظفرت بذلك
وقولك للعواد كيف ترونه * فقالوا قتيلا أهون هالك
لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك

(وقال ابن عبد ربه)

روح الندى بين أثواب العلا وصب
يفتن في جسد للمجد موصوب
ما أنت وحدك مكسو شحوب ضنى
بل كلنا منك من مضنى ومشحوب
يا من عليه حجاب من جلالته * وباب بذلك يوما غير محجوب
ألقى عليك يد للضر كاشفة * كشاف ضرنبي الله أيوب

(وله أيضا)

لا غرو ان نال منك السقم والضر
وقد تكسف الشمس لا بل يخسف القمر
يا غرة القمر المروى عضارتها * فدى لتربك مني السمع والبصر
يمسي جسمك موعوكا بصالية * فهكذا يوعك الضرغامة الهصر

أنت الحسام فان تفلل مضاربه * فقبله مايفل الصارم الذكر
روح المجد فى جثمان مكرمة * كانها الصبح فى خديه ينفجر
لو غال مجلوده شئ سوى قدر * أكبرت ذالك ولكن غاله القدر

﴿آداب اصلاح المعيشة﴾

وهو التجمل فى طلب الرزق والرفق وطلبه من وجوه الحل مكتوب فى التوراة حرك يدك افتح لك باب الرزق وفى بعض الكتب بن آدم امدد يدك الى باب من العمل أفتح لك بابا من الرزق وكان ابراهيم ابن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظا لبساتين والمزارع ويحصله بالنهار ويصلى بالليل قال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوء أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك أن داود عليه السلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشيء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد في داود عيبا الا انه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه مايستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع وقال صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت ظل رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف ويبغض العبد الصحيح الفارغ وعن مهران) ان ههنا قوم يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا (وقال عمر ابن الحسن رحمه الله تعالى) الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف (وقيل لمحمد ابن الخطاب رضى الله عنه) لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة (وقيل) ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهينى (وقالوا

من أشبع أرضه عملا أشبعته خبزا) والثوب يقول لصاحبه أكرمني داخلا أكرمك خارجا (وقالت عائشة رضى الله عنها) المغزل في يد المرأة خير من الرمح بيد المجاهد فى سبيل الله (وقال عمر بن الخطاب) لاتنهكوا وجه الارض فانشعمها فى وجهها وقالوا املكوا العجين فانه أحد الريعين (وقال أبو بكر) لغلام له كان يتجر بالثياب اذا كان الثوب سابغا فانشره وأنت قائم واذا كان قصيرا فانشره وأنت جالس وانما البيع مكاس (وقال عبد الملك بن مروان) من كان فى يده شيء فليصلحه فانه فى زمان ان احتاج فيه فأول مايبدل دينه (نادرة) من كتاب حياة الحيوان في حرف الزاى فى لفظ الزرباز ان رجلا خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم لايملك غيرهما فوجد أفراخ زرباز فاشترى بالدراهم التى كانت معه ثم رجع الى بغداد فلما أصبح فتح دكانه وعلق الافراخ عليها فهبت ريح باردة فماتت كلها الا فرخا واحدا وكان أضعفها وأصغرها فايقن الرجل بالفقر وجعل يبتهل الى الله تعالى بالدعاء ليله كله ويقول ياغياث المستغيثين أغثنى فلما أصبح زال البرد وجعل ذلك الفرخ ينفش ريشه ويصيح بصوت فصيح ياغياث المستغيثين أغثنى فاجتمع الناس عليه يسمعون صوته فاجتازت به أمة لامير المؤمنين فاشترته بألف درهم فانظر ياأخى كيف فعل الصدق مع الله تعالى والاقبال عليه بكنه الهمة فى التضرع بين يديه وحضور القلب وعدم الالتفات الى غيره حتى أغناه من الجهة الميؤس منها فماظنك بمن ترك الاسباب والوسائط واقبل على ربه إقبالا لايشغله عنه شاغل ولا يحجبه حاجب لان حجابه نفسه وقد فنى عنها فهناك لذله الخطاب وطاب الشراب فسبحان من يختص برحمته من يشاء من عباده وهو العزيز الوهاب

﴿ آداب الاكل والمؤاكلة ﴾

اما إباحة الطيب فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فى مأكله ومشربه وقال صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه قال اذكروا الله عزوجل عند الطعام ولا تلغوا فيه فانه نعمة من نعم الله يجب عليكم فيها شكره وحمده أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها فانها تزول وتشهد على صاحبها بما صنع فيها وقال رضى الله عنه اذا جلس أحدكم على الطعام فليجلس جلسة العبد وليأكل على الارض ولا يضع إحدى رجليه على الاخرى ولا يتربع فانها جلسة يبغضها الله عزوجل ويمقت صاحبها وعن الصادق رضى الله عنه قال أطيلوا الجلوس على الموائد فانها ساعة لا تحسب من أعماركم وعن الحسن بن على رضى الله عنه قال فى المائدة اثنتا عشرة خصلة يجب على كل مسلم أن يعرفها أربع منها فرض وأربع منها سنة وأربع منها تأديب فاما الفرض فالمعرفة والرضا والتسمية والشكر وأما السنة فالوضوء قبل الطعام والجلوس على الجانب الايسر والاكل بثلاث أصابع وأما التأدب فالاكل مما يليك وتصغير اللقمة والمضغ الشديد وقلة النظر فى وجوه الناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لقمات بالملح قبل الطعام وثلاث بعد الطعام تصرف عن ابن آدم اثنين وسبعين نوعا من البلاء منها الجنون والجذام والبرص وقال على رضى الله عنه ابدؤا بالملح فى أول الطعام فلو علم الناس مافي الملح لاختاروه على الترياق وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ضمنت لمن سمى على طعامه أن لا يشتكى منه فقال رجل يا أمير المؤمنين لقد أكلت البارحة طعاما فسميت

عليه ثم آذانى فقال أكلت ألوانا فسميت على بعضها ولم تسم على بعض بالكع وعنه أيضا رضى الله عنه قال لابنه الحسن يابنى لا تطعمن لقمة من حار ولا بارد ولا تشربن شربة ولا جرعة الا وأنت تقول قبل أن تأكله وقبل ان تشربه اللهم انى أسألك فى أكلى وشربى السلامة من وعكه والقوة به على طاعتك وذكرك وشكرك فيما أبقيته فى بدنى وان تشجعنى بقوته على عبادتك وأن تلهمنى حسن التحرز من معصيتك فانك ان فعلت ذلك أمنت وعثه وغائلته (وسئل الفضل) عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال ماللزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقى الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف إحسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك للاذى أنت الى أحكام هذا أحوج من ترك الخبيص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وماشرب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاكل فى السوق دناءة وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال اذا أكلت فضم شفتيك ولا تلتفت يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجلسن فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة (وقال على) رضى الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل الطعام حارا وقال عمرو بن هبيرة عليكم بما كرة الغداء فان مبا كرته تطيب النكهة وتعين على المروءة قيل وما إعانته على المروءة قال أن لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وولد ولده من الحمق وكان الحرث

ابن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره (قال ابن عباس رضى الله عنهما) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه (وقال الحجاج) لاعرابى يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض من بصرك ووضع معاوية بين يدى الحسن بن على رضى الله عنهما دجاجة ففكها فقال معاوية هل بينك و بين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك و بين أمها قرابة أراد معاوية ان الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضى الله عنهما وحضر اعرابى على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يأكل مسرعا فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكل بحرد كأن أمه نطحتك فقال الاعرابى أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك (قال بلال بن أبى بردة) للجارود بن أبى سبرة الهذلى أتحضر طعام عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر قال نعم قال صفه لى قال نأتيه فنجده نائما فنجلس حتى ينتبه فيأذن فندخل عليه فيجاذبنا الحديث فان حدثناه أحسن الاستماع وان حدثنا أحسن الحديث ثم يدعو بمائدته وقد تقدم الى جواريه وأمهات أولاده أن لا تلفظ واحدة منهن اذا وضعت مائدته ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه قائما فيقول له ماعندك فيقول عندى كذا وكذا فيعد ماعنده ويريد بذلك أن يحبس كل رجل نفسه وشهوته على مايريد من الطعام وتقبل الالوان فتوضع على المائدة ثم يؤتى بثريد شهباء من الفلفل رقطاء من الحمص فيأكل مفردا حتى اذا ظن ان القوم قد كادوا يمتلئون جثى على ركبتيه ثم استأنف الاكل معهم قال ابن بردة لله دره ماأربط جاشه على وقع الاضراس (حضر اعرابى) سفرة هشام بن عبد الملك فبينما هو يأكل معه اذا التفت شعرة فى لقمة الاعرابى فقال له هشام

عندك شعرة فى لقمتك يا اعرابى فقال وانك تلاحظنى على شعرة فى لقمتى فـابالك بنفس الاكل والله لاأكلت معك أبدا ثم خرج يقول

ولاالموت خير من زيارة باخل

يلاحظ أطراف الاكيل على عمد

(وقال محمد بن زيد) أكل قائد لابى جعفر المنصور معه يوما وكان على المـائده محمد المهدى وصالح ابناه فبينما يأكل الرجل من ثريد بين أيديهم اذ سقط بعض الطعام من فيـه في الاناء وكأن محمد وأخاه عافا الاكل معـه فأخذ أبو جعفر الطعام الذى سقط من فم الرجل فأكله فالتفت اليـه الرجل فقال يا أمير المؤمنين أما الدنيا فهى أقل وأيسر من أن أتركها لك لكن والله لاتركن فى مرضاتك الدنيا والآخرة (وحدث ابراهيم بن الشندى) قال كان فـتى من بنى هاشم يدخل على المنصور كثيرا فأتاه يوما فادناه ثم دعاه الى الغداء فقال قد تغديت فامهله الربيع حاجب المنصور حـتى ظن أنه لم يفهم الخطيئة فلما انصرف وصار وراء الستر دفع في قفاه فلما رأى من الحاجب ذلك شكا الفتى الى أعمـامه ماناله فاقبلوا الى أبى جعـفر وقالوا له ان الربيع نال من هذا الفتى كذا وكذا فقال لهم أبو جعفر ان الربيع لايقدم على مثل هـذا الا وفى يده حجة فان شئتم أمسكنا عن ذلك واغضينا وان شئتم سألتـه واسمعتكم قالوا بل يسأله أمير المؤمنين ونسمع فدعاه فسأله فقال ان هذا الفتى كان يأتى فيسلم وينصرف من بعيـد فلما كان أمس أدناه أمير المؤمنين حتى سلم من قرب وتبذل بين يديه ودعاه الى غـدائه فبلغ من جهله بحق المرتبة التى أحـله فيها ان قال قد تغديت واذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه فى يده الا سد خلة الجوع ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل فلبثوا القوم سكوتا ثم انصرفوا (وقال أبو بكر بن عبد الله) أحق الناس بلطمة من أتى طعـاما لم يدع اليـه وأحق

الناس بلطمتين من يقول له صاحب البيت اجلس ههنا فيقول لا أجلس الا ههنا وأحق الناس بثلاث لطمات من دعى لطعام فقال لصاحب المنزل ادع ربة البيت تأكل معنا (وقال أبو عثمان عمرو بن بحر) لا ينبغي للفتى أن يكون مكحلا ولا مقببا ولا مكوكبا ولا شكامدا ولا خدامدا ولا تغامدا وتفسيره أن المكحل الذى يتعرق العظم حتى يدعه كانه مكحلة عاج والمقبب الذى يركب اللحم بين يديه يجعله كانه قبة والمكوكب الذى يبصق فى الطست ويتنخم فيه حتى يصير بصاقه كانه الكواكب في الطست والخدامد الذى يأتى فى وقت الغداء والعشاء فيقول ماتأكلون فيقولون من بغضهم له ما فيدخل يده ويقول فى حرم العيش بعدكم والشكامد الذى يتبع اللقمة باخرى قبل أن يسيغها فيختنق كأنه ديك قد ابتلع فأرة والتغامد الذى يضع الطعام بين يديه ويأكل من بين يدى غيره (ومن الادب) أن يبتدئ صاحب الطعام بغسل يديه قبل الطعام ثم يقول لجلسائه من شاء منكم فليغسل فاذا غسل بعد الطعام فليقدمهم ويتأخر ولا يقوم الا بعد قيام ضيوفه وان شبع قبلهم فيؤاكلهم ولا يظهر لهم شبعه ولا يأمر باحضار طست وابريق وهم فى اثناء الاكل كما يفعل ذلك فاقدى الاحساس (الشيبانى) قال بصق مروان بن عبد الحكم فقصر فى بصقته فوقعت على البساط فقام رجل من المجلس فمسح البساط بكمه فقال عبد الملك بن مروان أربعة لا يستحى من خدمتهم الامام والعالم والوالد والضيف (وأما الضيافة واطعام الطعام) فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيكرم ضيفه ولا يؤذ جاره (وقال الحسن) كنا نسمع ان احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع (وقيل لابراهيم الخليل عليه السلام) بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت

الذى لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لى به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ما خلا مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف (وكان الزهرى) اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة أيام (وقالوا) المائدة مرزوقة أى من كان مضيافا وسع الله عليه (وقالوا) أول من سن القرى ابراهيم عليه السلام وأول من ثرد الثريد هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه فى الاسلام عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شىء فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق (وقيل لبعض الكرماء) كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجنى الى أن افد على الناس فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته وأما استقبحته تركته (وأما آداب المضيف) فهو ان يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة فى الوجه خير من القرى فكيف بمن يأتى بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البدرى رحمه الله هذا الكلام بأبيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا ✡ قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما فى وجهه متهللا ✡ وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى ✡ عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم ✡ تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى ✡ فكيف بمن يأتى به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة (وقال حاتم الطائى)

سل الطارق المعتر يا أم مالك ✡ اذا ما أتى بين نارى ومجزرى
أأبسط وجهى أنه أول القرى ✡ وأبذل معروفى له دون منكر

وقال آخر في عبد الله بن جعفر

انك يابن جعفر خير فتى ✿ وخيرهم لطارق اذا أتى

ولله در القائل

الله يعلم انه ما سرني ✿ شيء كطارقة الضيوف النزل

مازلت بالترحيب حتى خلتني ✿ ضيفا له والضيف رب المنزل

أخذه من قول الشاعر

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ✿ نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وما أحسن ماقيل لسيف الدولة بن حمدان

منزلنا رحب لمن زاره ✿ نحن سواء فيه والطارق

وكل ما فيه حلال له ✿ الا الذى حرمه الخالق

وقال الاصمعى سألت عيينة بن وهب الدارمى عن مكارم الاخلاق فقال أوماسمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقرى الضيف قبل نزوله ✿ ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك

وقال بعض الكرام

أضاحك ضيفى قبل نزول رحله ✿ ويخصب عندى والمحل جديب

وما الخصب للاضياف ان تكثر القرى

ولكنما وجه الكريم خصيب

(وقال آخر)

عودت نفسى اذا ما الضيف نبهنى ✿ عقر العشار على عسر وايسار

(ومن آداب المضيف أيضا) ان يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندى تلو صاحبها ✿ لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

(وقال على بن الحسين رضى الله عنه) من تمام المروءة خدمة الرجل

ضيفه كما أخدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة (ومن آداب المضيف) أن يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وان لا يحدث بما يروعهم به كما حكى عن بعضهم قال استدعاني اسحاق بن ابراهيم الظاهري الى أكل هريسة في بكرة نهار فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فاسر اليه شيأ لا نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يرعى خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهون ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكرا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام انه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه فعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد في أول النهار يخدم القوم ويأنسون به ففي آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث ان لا تصرخ ولا تبكي الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم أن تصلوا على ولدي فانه بالامس سقط من أعلى السطح فمات لساعته فقالوا والله لما لا أخبرتنا حين سألناك فقال ما ينبغي لعاقل ان ينغص على أضيافه في التذاذهم ولا يكدر عليهم في عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف أن يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابه وقت الطعام

ولا يمنع واردا (وقيل لبعض الامراء الكرام) لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا ينخدع لا يمكنه الله منا والاليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه أن يسهر مع أضيافه ويؤنسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وان يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند انه قال اذا ضافك أحد فأره الكنيف فانى ابتليت به مرة فوضعته فى قلنسوتى (وقالوا لا بأس) ان يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الأكيدة وقد قصد النبى صلى الله عليه وسلم والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الانصارى وكذلك كانت عادة السلف رضى الله عنهم وكان لعوف بن عبد الله المسعودى ثلثمائة وستون صديق فكان يدور عليهم فى السنة ولا بأس ان يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضى الله عنها فأكل طعامها وهى غائبة وكان الحسن رضى الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد فى الورع فقال له يا لكع اتل علىّ آية الاكل فتلى ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما فى يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم انهم كانوا يقتسمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحتقر ما قدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده ان يقدم وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لقم أخاه لقمة حلوة

صرف الله عنه مرارة الموقف (وحكى) عن الامام الشافعى رحمه الله انه كان نازلا عند الزعفرانى ببغداد فكان يكتب له فى كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعى منها يوما والحق فيها لونا آخر فعرف الزعفرانى ذلك فاعتق الجارية سرورا بذلك وكان سنة السلف رضى الله عنهم ان يقدموا جملة الالوان دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهى ومن السنة أن يشيع المضيف الضيف الى آخر الحارة وعلى المضيف اذا قدم الطعام الى اضيافه ان لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضنى سراج لا يضىء ورسول بطىء ومائدة ينتظر لها من يجىء ونزل الامام الشافعى رحمه الله على امامنا مالك رضى الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال لا يرعك ما رأيت منى فخدمة المضيف على الضيف فرض

أعرض طعامك وابذله لمن أكلا

واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا

ولا تكن سابرى العرض محتشما ✡ من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كانه تخلص من ورطة (وقيل لبعض البخلاء) ما الفرج بعد الشدة قال ان يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه ويصف زباديه ويشتهى أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها واشهاها الى النفوس ويعتذر أن فى أصحابه من يحضر بالغداة عنده (وحكى) عن بعض البخلاء انه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وزبدة فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد ان يرفع العسل فدخل الضيف قبل ان يرفعه فظن البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى أن تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقا فقال له البخيل مهلا يا أخى والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك (وحكى)

عن بعضهم انه قال غلب على الجوع مرة فقلت امضى الى دار فلان فاتغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلام فقلت له أين سيدك فقال والله لاقلت لك عليه الا أن أعطيتنى كسرة قال فرجعت هاربا ومن البخل تقديم الشيء اليسير وتفخيمه (وحكى) عن بعض البخلاء انه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فاين هؤلاء من الذى يقول

قالت أما ترحل تبغى الغنى ✫ قلت فمن للطارق المعتم
قالت فهل عندك شيء له ✫ قلت نعم جهد الفتى المعدم
فكم وحق الله من ليلة ✫ قد أطعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس ياهذه ✫ ليس الغنى بالمال والدرهم

وقال بعض البخلاء

سرى نحونا يبغى القرى طاوى الحشى
لقد عملت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا الى الصبح شاتم ✫ يعدد تطفيل الضيوف وضارب

فشتان ما بين القائلين (وأما آداب الضيف) فهو أن يبادر الى موافقة المضيف فى أمور منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن فقد حكى انه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما أحتاج الى مكان أبيت فيه فقال الاعرابى اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيرى فانى لا أرى أن تمدحنى فى البلاد وتهجونى فيما بينى وبينك (وحكى) عن بعض التجار قال استدعانى أبو حفص محمد بن القاسم الكرخى لاعرض عليه قماشا من تجارتى فبينما أنا بين يديه واذا بأطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من

مجلسه فقال يافلان ماهذا الخلق العامي اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل السكمثراة في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فاكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني الا وقد جاء غلامه ببغلة فاستدعاني اليه فقال لي يافلان اني قليل الاكل بطيء الهضم ولقد طابت لي مؤاكلتك بالامس فأريد أن لا تنقطع بعدها عني قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في طلبي فحصل لي بقربي منه مال كثير وجاه عريض (ومن آداب الضيف أيضا) ان لا يسئل صاحب المنزل عن شيء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وان لا يتطلع الى ناحية الحريم وان لا يخالفه اذا أجلسه في مكان وأكرمه به وان لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل من بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عربيدا على أضيافه سيء الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل انه كريم الاخلاق وما أظن سوء أخلاقه الا من سوء أدب الاضياف ولا بد أن أتطفل عليه لارى حقيقة أمره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى أن جاء الى باب داره فاذن لي فدخلت فاجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث أجلسني وأعطاني مسندا فاستندت عليه فاخرج لي شطرنجا وقال اتتقن شيأ قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا وأراد أن يسكب الماء على يدي فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدي بعد أن قدم نعالي فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت ياسيدي أنشدك الله الا فرجت عني كربة قال وماهي فأخبرته الخبر فقال والله مايحوجني لذلك الا سوء أدبهم يصل الضيف الى داري فأجلسه في الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم اليه الطعام فلا أتحفه بشيء مستظرف الا رده علي

ثم أريد ان أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ماتفعل ثم أريد ان أشيعه فلا يمكنني من ذلك فأقول في نفسي لايحكم الانسان على نفسه حتى في بيته فعند ذلك أشتمه وألعنه بل وأضربه وفي معنى ذلك يقول بعضهم

لاينبغي للضيف أن يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان في بيته * ان شاء ان ينصف أو ان يحيف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الاان يكون بدويا فانها عادته ومنها ان يتبع طريق الشرهين كمن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي ومنها ان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير ومنها قبح المواكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشادف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل والمزبد والمرنخ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنفاخ والحامي والمجنح والشطرنجي والمهندس والمتمني والفضولي فأما الشارف فهو الذي يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلاتراه الامتطلعا الى ناحية الباب يظن ان كل مادخل هو الطعام وأما العداد فهو الذي يستغرق في عد الزبادي ويعد على أصابعه ويشير اليها وينسى نفسه والجراف هو الذي يجعل اللقم في جانب الزبدية ويجرف بها الى الجانب الآخر والرشاف هو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس لايخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذي يجعل اللقمة في فيه وينفض أصابعه في الزبدية والقراض هو الذي يقرض اللقمة بأطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها في الطعام بعد ذلك والبهات هو الذي يبهت في وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم

واللتات هو الذي يلت اللقمة بأطراف أصابعه قبل وضعها في الطعام والعوام هو الذي يميل ذراعيه يمنة ويسرة لاخذ الزبادي والقسام هو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها في الطعام من فيه والمخلل هو الذي يخلل أسنانه بأظفاره والمزبد هو الذي يحمل معه الطعام والمرنخ هو الذي يرنخ اللقمة في الامراق فلا يبلع الاولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه والمفتش هو الذي يفتش على اللحم بأصابعه والمنشف هو الذي ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذي يملا الطعام لبابا والصباغ هو الذي ينقل الطعام من زبدية الى أخرى ليبرده والنفاخ هو الذي ينفخ في الطعام والحامي هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذي يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له في المجلس فلا يشق عليه الاكل والشطرنجي هو الذي يرفع زبدية ويضع أخرى مكانها والمهندس هو الذي يقول لمن يضع الزبادي ضع هذه هنا وهذه هنا حتى يأتي قدامه مايحب والمتمني هو الذي يقول ليتني لم يكن معي من يأكل والفضولي هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقي عندك شيء في القدور فاطعم الناس فان فيهم من لم يأكل ومن الاضياف من لا يلذله حديث الاوقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق في يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان أو الصابون مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والزفر تسوك بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدئ بالهندسة أولا فيقول كان ينبغي أن يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغي أن يكون من ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان ما استحكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف

وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألموا من انقطاعهم ويستوحش لغيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم ولقد حكى عن مغن غير مجيد انه لم يبطل ولا ليلة واحدة وماذاك الا انه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت فى بطنى واذا قيل له أين شربت قال شربت فى فمى ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة انه يقول لغلامه اشترى كذا فيقول والله العظيم ما يشترى شيأ فأذوقه فيعجز صاحب المنزل ويخجله اذا لم يكن فى بيته شىء موجود وليت شعرى اذا كان لا يأكل فلاى شىء حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيأ فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب البيت بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم أخلاق وانما ذلك يكون فى بيته لا فى بيوت الناس ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته فى النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتى وشهوتى أو يقول مالى قوة طائلة فى ذلك فيقول أنا والله كلما مر على عام تزايدت شهوتى وكثر لهذا الفن تشوقى ويعلن بذلك حتى يسمع غيره ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ما هى فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا الفراقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى بذلك انه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن فى نفسه أنه يعشق ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب المنزل كل فيقول لا آكل الا أنا ورفيقى ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه

من مال صاحب البيت من غير اذنه أو يقول للسائل حنن الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقلده بذلك المنن كل ذلك واقع مع كثير من الناس البعض شوهد والبعض مروى عن ثقات بل أكثر الناس واقع فى ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه آمين

(تأديب الصغير)

قالت الحكماء من أدب ولده فى صغره سر به فى كبره (وقالوا) اطبع الطين ما كان رطبا واعمر العود ما كان لدنا (وقالوا) من أدب ولده غم حاسده (وقال ابن عباس رضى الله عنهما) من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب (قال الشاعر)

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

وقالوا ما أشد فطام الكبير واعسر رياضة الهرم قال الشاعر

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

(وكتب) شريح الى معلم ولده

تركت الصلاة لا كلبة يسعى بها * يبغى الهراش مع الغواة الرجس
فاذا أتاك فعظه بملامة * وعظنه موعظة الاديب الكيس
فاذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت ثلاثة فاحبس
واعلم بانك ما أتيت فنفسه * مع ما يجرعنى أعز الانفس

وقال صالح بن عبد القدوس

وان من أدبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد له جهله * كذى الصبا عاد الى بلسه

ماتبلغ الاعداء من جاهل * مايبلغ الجاهل من نفسه

(وقال عمرو بن عتبة) لمعلم ولده ليكن أول صلاحك لولدي صلاحك لنفسك فان عيونهم مقصورة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه روهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة النساء ولا تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك

﴿ظريفة﴾ تناسب المقام بينما كنت ذات ليلة منعكفا على تبييض ذلك الكتاب اذ طرق بابي أحد أصدقائي من طلبة العلم بالازهر الشريف فاذنت له فدخل و بعد أن تبادلنا التحية استفسر مني عما بين يدي من المسودات فقرأت عليه هذا الباب الذي كنت اذ ذاك مبيضا له فاستحسنه ولما كان الشيء بالشيء يذكر ذكرني واقعة هذا الاعرابي وهي أن اعرابيا خرج يوما الى البرية فوجد فيها جرو ذئب فأخذه فرباه تحت شاة له حتى كبر ثم خرج معها يوما للرعى فحركته الطبيعة الذئبية على افتراس ماتغذى بدرها فافترسها فجاء الاعرابي فوجد شاته فريسة فانشد يقول

بقرت شويهتي وفجعت قلبي * وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا * فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

﴿جامع الآداب﴾

الادب يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام (قال على كرم الله وجهه) الادب كنز عند الحاجة عون على المروءة صاحب في المجلس أنيس في الوحدة تعمر به

القلوب الواهيـة وتحيي به الالباب الميتـة ويـنال به الطالبون ما حاولوا (وقيل) عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح (وحكى أن رجلا) تـكلم بين يدى المأمون فأحسن فقال ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد (قال الشاعر)

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب

ان الفـتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

لان من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته ان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا (قال بعض الشعراء)

لـكل شئ زينة فى الورى * وزينـة المرء تمام الادب

قـد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

(وقال بعض الاعاجم مفتخرا)

مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما أنا عربى

اذا انتمى منتم الى أحد * فانـنى منـتم الى أدبى

يعنى أن الفضـل بالعـقل والادب لا بالاصل والحسب والمرء بفضـيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه (وقيل لرجل) من أدبك قال رأيت جهل الجاهل قبيحا فاجتنبتـه فتأدبت ومن عـرف الادب اكتسب به المـال والجاه وخير الخلال الادب وشر المقال الـكذب (وقيل لبقراط الحـكيم) ما الفرق بين من له أدب وبين من لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق (ودخل أبو العاليـة) على ابن عباس رضى الله عنهما فاقعده معه على السرير واقعـد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم اليه وحموضـة وجوههـم فقال ما بالكم

تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة (وقال جالينوس) ان ابن الوضيع اذا كان أديبا نقص أبيه زائد فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائد فى سقوطه وأحسن الادب أن لا يفتخر الانسان بأدبه (وسمع معاوية) رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له (ويقال) اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو أعظم الآداب (ولعبد الملك بن صالح)

في الناس قوم أضاعوا مجد اولهم * مافى المكارم والتقوى لهم ارب
سوء التأدب أرداهم وأذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الادب

(وقيل) أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة (وقال بعض الحكماء) خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم البطش الا بالجراءة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق (وقال بعض الحكماء) اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة والزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد فالثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه الميعاد كل يحصد مازرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك فمدة العمر قصيرة وصحة الجسم مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهرة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل

حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البـلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهـل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسـه فى اكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم لا يعود اليك ويوم أنت فيـه لا يدوم عليـك ويوم مسـتقبل لا تدرى حاله ولا تعرف من أهـله من كثر ابتهاجه بالمواهب اشـتد انزعاجـه للمصائب لا تبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسىء بحسن فعالك ودل على الجميل بجميل خلالك إياك وفضول الـكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد فى خلقـه نقص فى حظـه من ائتمن الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينـه حتى يكون فيـه أربع خصال يقطع رجاؤه مما فى أيدى النـاس ويسمع شتم نفسه ويسكت ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله اياك والحسد فانه يفسد ويضعف اليقين ويذهب المروءة (قيل لافلاطون) ما الشىء الذى لا يحسن أن يقال وان كان حقا قال مـدح الانسان نفسـه (أربعة) تؤدى الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الـكرامة والجود الى السيادة والشـكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلـكه جده العزة ثمرة الجهل آفة القوة اسـتضعاف الخصم وآفة النعم قبح المن وآفة الذنب حسن الظن الحزم أشـد الآراء والغفلة أضر الاعداء من قعد عن حيلته اقامته الشدائد ومن نام عن عـدوه أيقظته المـكائد من قرب السـفلة وأطرح ذوى الاحساب والمروآت استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر من صـبر فقـد ظفر من ملك نفسـه عند أربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين

يوهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شأنه وحفظ لسانه واعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن أكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من أذل جيرانه ولا سعد من حرم اخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال أزهدهم فى السؤال من حسن صفاءه وجب اصطفاءه من غاظك بقبيح الشتم فغظه بحسن الحلم من بخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام أمن من الاعدام من طاب أصله ذكى فرعه من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة من من بمعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على نفسه بالرداءة من رجع في هبته بالغ فى خسته من رقى فى درجات الهمم عظم في عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من صدق في مقاله زاد فى جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف فى النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام أفضل المعروف إغاثة الملهوف من تمام المروءة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى أصدقائه وبخله يبغضه الى اودائه لا تسىء الى من أحسن اليك

ولا تضن على من أنعم اليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم من حفر حفرة لاخيه كان حتفه فيه من سل سيف العدوان أغمد فى رأسه من لم يرحم العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا يحتاج من يذهلك خوفه ويملكك سيفه صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه من قال مالا ينبغى سمع مالا يشتهى جرح الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد وسعه جوابا وأوجعه عتابا من أمات شهوته أحيا مروءته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته عظمت خطيئته إياك والبغى فانه يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس فى الخير أربعة أقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقى ومن تركه استحسانا فهو دنىء من سالم سلم ومن قدم الخير غنم من لزم الرقاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله العجول مخطىء وان ملك والمتأنى مصيب وان هلك من أمارات الخذلان معاداة الاخوان استفسار الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق من نظر فى العواقب سلم من النوائب ومن أسرع في الجواب أخطأ في الصواب من ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت وسائله من فعل ماشاء لقى ماساء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل خير من يقين الجاهل قليل تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتتك اذا استشرت الجاهل اختارلك الباطل من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة

صغر عن الرياسة لا تشتك ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه
فيك من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على
الافلاس من أفشى سره أفسد أمره الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر
شغل يومه لغده من طلب ما لا يكون طال تعبه لا تفتح بابا يعييك سده
ولا ترم سهما يعجزك رده من سوء التدبير سبب التبذير اغمد سيفك
ما ناب عنك لسانك ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن
العجب من عاقل يصحب جاهلا كل شيء يفر من ضده ويميل الى جنسه
اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطب تحت طلب ومنية تحت أمنية
لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع
الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه
اشتد حتفه من لم تسر حياته لم تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين
العيوب الشرف بالهمم العاليه لا بالرمم الباليه اذا ملك الارازل هلك
الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طابت فعاله
بعد يورث الصفاء خير من قرب يورث الجفاء اللسان سيف قاطع يؤمن
حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده من اطلع على جاره انتهكت
حرمة استاره أجهل الناس من قل جوابه وكثر اعجابه أظهر الناس
نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا
عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة
بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب من زادت شهوته نقصت مروءته
من عرف بشيء نسب اليه ومن اعتاد شيأ أحرص عليه عند الجدال
يظهر فضل الرجال من أخر الاكل لذ طعامه ومن أخر النوم طاب منامه
موت في دولة وعز خير من حياة في ذلة وعجز مقاساة الفقر هي الموت الاحمر
ومساءلة الناس هي العار الاكبر حق يضر خير من باطل يسر كم من
مرغوب فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل

تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب شر ما صحب المرء الحسد ربما أصاب الاعمى رشده وأخطأ البصير قصده اليأس خير من التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا فى غير عجب ولا ماشيا فى غير أرب من سعى بالنميمة حذره القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المروءة كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك الذى انت فيه استر سوأة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه وربما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا لمتكبر صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك لا تخلو من عداوة جاهل أو عاقل فاحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معترف بذنبه خير من باك على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن على ذى خطأ خطأه فيستفيد منك علما ويتخذك عدوا استح من ذم من لو كان حاضرا لبالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجود يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجناح تأنس النفس

وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدم المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك مالا يعنيك يتم لك الفضل واعلم أن السياسة تكسو أهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن طاوع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط والاعمال كلها تبع القدر وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فاقلع المروآت كلها تبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل أصله التثبت وثمرته السلامة واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لاتحمل بطنك مالا تطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة لا تثق بمال ولو كثر (ومن وصية لقمان لابنه) وهو لقمان بن عنقاء بن بيرون وكان نوبيا من أهل أيلة قال يابنى كن على حذر من اللئيم اذا أكرمته ومن الكريم اذا أهنته ومن العاقل اذا هجوته ومن الاحمق اذا مازحته ومن الجاهل اذا صاحبته ومن الفاجر اذا خاصمته وتمام المعروف تعجيله يابنى ثلاثة أشياء تحسن بالانسان حسن المحضر واحتمال الاخوان وقلة الملل للصديق وأول الغضب جنون وآخره ندم يابنى ثلاثة فيهم الرشد مشاورة الناصح ومداراة العدو والحاسد

والعجب لكل أحد يابنى المغرور من وثق بثلاثة أشياء الذى يصدق مالا يراه ويركن الى من لا يثق به ويطمع فيما لا يناله يابنى احذر الحسد فانه نفسد الدين ويضعف النفس ويعقب الندم يابنى اذا خدمت واليا فلا تنم اليه باحد فانه لا يزيده ذلك منك الا نفورا فانه اذا سمع منك فى غيرك سمع من غيرك فيك ويكون قلبه خائفا منك ان تنم عليه كما نممت اليه بغيره ولا يزال محترسا منك وكن يابنى أقرب الناس اليه عند فرحه وأبعدهم منه عند غضبه وان ائتمنك فلا تخنه وان أنالك يسيرا فخذه واقبله فتبلغ به أن تنال كثيرا وأكرم خدمه والطف باصحابه وغض طرفك عن محارمه واصمم أذنك عن مجاوبته واقصر لسانك عن حديثه واكتم في المجالس سره واتبع باللطف هواه وناصح فى خدمته واجمع عقلك فى مخاطبته ولا تأمن الدهر من غضبه فانه ليس بينك وبينه نسب والغضب يسرع اليه فى كل وقت ووثبته كوثبة الاسد يابنى كتمان السر صيانة للعرض يابنى ان أردت أن تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء فان المرأة حرب ليس فيها صلح وهى ان أحبتك أكلتك وان أبغضتك هلكتك (ومن كلام سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه) فيما يروى عنه أنه قال من حلم ساد ومن ساد استفاد ومن استحيا حرم ومن هاب خاب ومن طلب الرياسة صبر على السياسة ومن أبصر عيب نفسه عمى عن عيب غيره ومن سل سيف البغى قتل به ومن احتفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ومن هتك حجاب غيره انهتكت عورات بيته ومن كابر في الامور عطب ومن اقتحم اللجج غرق ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تجبر على الناس ذل ومن تعمق في العمل مل ومن صاحب الانذال حقر ومن جالس العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء تهم ومن حسن خلقه سهلت عليه طرقه ومن حسن

كلامه صارت الهيبة أمامه ومن خشى الله فاز ومن استفاد الجهل ترك طريق العدل ومن عرف أجله قصر أمله (ومن كلامه أيضا رضى الله عنه) نعم القرين الرضا والعلم وراثة كريمة والادب حلل مجددة والفكر مرآة صافية خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم وان عشتم حنوا اليكم أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم أقيلوا ذوى المروآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير وما أضمر أحد شيأ الا ظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا لا قربة بالنوافل اذا أضرت بالفرائض كن ينقطع للصلاة والذكر ويفر من الجهاد احذر واصولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع قلوب الرجال وحشية فمن تألفها اقبلت عليه لاغنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالادب ولا ظهر كالمشاورة اللسان سبع ان خلى عنه عقر الحكمة ضالة المؤمن فخذوا الحكمة ولو من أهل النفاق من أصلح بينه و بين الله أصلح الله ما بينه و بين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظا كان عليه من الله حافظا ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائق الحكم رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه لا يقيم أمر الله سبحانه وتعالى الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع ترك الذنب أهون من طلب التوبة ازجر المسىء بثواب المحسن الطمع رق مؤبد الخلاف يهدم الرأى أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن الحدة ضرب من الجنون لان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم ما أكثر العبر وأقل الاعتبار

(ومن الحكم) من بالغ فى الخصومة أثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع ان يتقى الله من خاصم مودة الآباء قرابة بين الابناء ماظفر من ظفر الاثم به والغالب ما بالشر مغلوب الاستغناء عن العذر من الصدق أقل مايلزمك من الله أن لا تستعين بنعمه على معاصيه لكل امرئ فى ماله شريك الوارث والحوادث والزكاة يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم من نظر فى عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذاك الاحمق بعينه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه للظالم من الرجال ثلاث علامات من يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة و يظاهر القوم الظلمة أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه مقاربة الناس فى أخلاقهم آمن من غوائلهم من صارع الحق صرعه الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلال خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك الحلم والاناة توأمان ينتجهما علو الهمة الغيبة جهد العاجز أشد الذنوب مااستخف به صاحبه

﴿فضل العقل﴾

نص الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وفضله وقد ضرب له الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى و بك أحاسب و بك أعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضيء خلقه الله عز وجل فى الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة واعلم ان العقل ينقسم

الى قسمين قسم لايقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فاما الاول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار ذلك يقال ان الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته واخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف اقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان بن داود عليه السلام وهو صبى حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام فى أمر الغنم والحرث والقصة مشهورة لكن نأتى بها هنا تماما للفائدة وشرح ذلك فيما نقله المفسرون ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الحرث ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثى فاهلكته وأكلته ولم تبق فيه شيأ فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على ما نقله أئمة التفسير احدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده

سليمان عليه السلام فدعاه وقال له ماهو الارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرماقد تدلت عناقيده فى قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته وصورته التى كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود عليه السلام القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفى هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف إلهية واذاقذف الله تعالى شيأمن أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب فى كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل بما يوجد منه ومايصدر عنه فان العقل معنى لايمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام فأقول يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رزائل الاعمال ورغبته في إسداء صنائع المعروف وتجنبه مايكسبه عارا ويورثه سوء السمعة (وقد قيل لبعض الحكماء) بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة إصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وهديته عنوان همته فبقدر مايكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها (وقيل) من أكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى إياه فانه روى عن النبى صلى الله

عليه وسلم أنه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه ان من رزق المداراة لم يحرم التوفيق (وقالوا) العاقل الذى يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس (وقال على بن عبيدة) العقل ملك والخصال رعيته فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابى فقال هذا كلام يقطر عسله (وقيل) بايد العقول تمسك أعنة النفوس وكل شىء اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شىء غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار في المروج واختلف الحكماء فى ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور فى العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور (وقالوا) التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حيلة وتجربة (قال الشاعر)

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(وقال آخر)

اذا طال عمر المرء فى غير آفة * أفادت له الايام فى كرها عقلا

وقال عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل ويقال لا شرف الا شرف العقل ولا غنى الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتد عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلي رضى الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذى يضع الشيء في مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذى لا يضع الشيء في مواضعه (وقال المنصور) لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير (وقال اردشير) أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الانس والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة (وقال كسرى) أربعة تؤدى الى أربعة العقل الى الرياسة والرأى الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حتفه من أغلب الخصال عليه (وقيل) أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه (وقيل) ثلاثة حصن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتحبب الى الناس (وقيل) من أعجب برأى نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوى العقول مات عقله (وعن عمرو بن العاص) أنه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وارحمهم كبارا (وقيل) العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق (وقيل) لا ينبغى للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه (وقيل) طول اللحية أمان من العقل (وسئل بعضهم) أيما أحمد في الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن (وقيل) غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله (وقال أبو الدرداء رضى الله عنه) قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله قربا قلت بأبى وأمى أنت يا رسول الله ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تكن عاقلا ثم تنقل الى صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا

وتزداد من الله قرباوعزا (وحكى) بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم (ويروى عن علي رضي الله عنه) أنه كان ينشد هذه الابيات ويترنم بها

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعز ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها أومن أعاديها
والنفس تعلم انى لا أصدقها * ولست أرشد الاحين أعصيها

(وقال بعض الحكماء) العاقل من عقله في ارشاد ورائه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفى في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحته وسمته وتسريح لحيته وكثرة حفلته ونظافة بدنه اذ كم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعى رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعى فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرموقا بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله (وقيل) ان اياس بن معاوية القاضى كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التى صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فاودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من

الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فانكره وجحده فجاء الى القاضي إياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل أخبرت أحدا بذلك غيري قال لا قال فهل علم الرجل أنك أتيت الى قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي أموال كثيرة ورأيت أن أودعها عندك فاذهب وهيئ لى موضعا حصينا احفظه فيه فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان أبى قل له امض معي الى القاضي اتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع له وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعا في تسليم المال فسبه القاضي وأعلمه بذلك فتأمل هذا مما يدل على عقله وصحة فكره * ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما أخبروه بما اجمعوا عليه قال لا ارى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد اخبركم فلما اصبحوا اتوا اليه وقالوا له قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وامر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما لذلك ثم حرش الكلاب كل واحد على أخيه فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئبا قد أعده لذلك أيضا فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فاقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب

لا يزال الهرج بين المسلمين مالم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء

﴿خاتمة الكتاب﴾

هذا واختم كتابنا بخطبة تنسب لامير المؤمنين سيدنا علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه قال له رضى الله عنه بعض أصحابه رضى الله عنهم يا أمير المؤمنين صف لى المتقين كانى أنظر اليهم فقال رضى الله عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من معصيتهم لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها أهل الفضائل منطقهم الصلوات وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم وقصروا أسماعهم على العلم النافع نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء لولا الاجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب عظم الخالق فى أنفسهم فصغر مادونه فى أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم متنعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ومعونتهم فى الاسلام عظيمة صبروا أياما قصيرة فأعقبتهم راحة طويلة وتجارة رابحة يسرها لهم رب كريم أرادتهم الدنيا ولم يريدوها وطلبتهم ففازعجزوها واشترتهم ففدوا أنفسهم منها أما الليل فصافون أقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا يحزنون به أنفسهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا

اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا أنها نصب أعينهم واذا مروا باية فيها تخويف صغوا اليها بمسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حانون على اوساطهم يمجدون جبارا اعظيما مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يرغبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خلطوا وقد خالطهم أمر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون اذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له فيقول انا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي مالا يعلمون انك أنت علام الغيوب وستار العيوب ومن علامة أحدهم انك ترى له قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحرصا في علم وعلما في حلم وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرا ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة وان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قليلا أمله خاشعا قلبه قانعة نفسه نادرا أكله سهلا أمره ميتة شهوته مكظوما غيظه قليلا شره كثيرا ذكره صادقا قوله الخير منه مأمول والشر منه مأمون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا معروفه مقبلا خيره مدبرا شره في الدلال

وقور وفى المكاره صبور وفى الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب لا يدعى ما ليس له ولا يجحد حقا هو عليه يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينابز بالالقاب ولا يضارّ بالجار ولا يشمت بالمصاب سريعا الى الصلوات مؤديا للامانات بطيأ عن المنكرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا يدخل فى الباطل ولا يخرج من الحق ان صمت لم يغمه صمته وان نطق لم يقل خطه وان ضحك لم يعل صوته قانع بالذى هو له لا يستخفه الغيظ ولا يغلبه الهوى ولا يقهره الشح يخالط الناس ليعلم و يصمت ليسلم ويسأل ليفهم ويتجر ليغنم ولا يعمل الخير ليفتخر به ولا يتكلم به اذا فعله وان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له نفسه منه فى عناء والناس منه فى راحة أتعب نفسه لاخوانه وأراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده تكبرا وعظمة ولا دنوه لمكر ولا خديعة قال فصعق ذلك الرجل صعقة كانت نفسه فيها فقال أمير المؤمنين اما والله لقد كنت أخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها فقال له قائل فما بالك يا أمير المؤمنين فقال ويحك ان لكل اجل وقتا لن يعدوه وسببا لا يتجاوزه فهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك وهذا آخر ما أردنا ان نجمعه من السير النبوية والآداب المروية نسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا للعمل بذلك خالصا لوجهه وموجبا لرضوانه ومغفرته وموصلا الى جناته وكرامته بمنه وكرمه وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب وصلى الله على سيدنا محمد خاتم رسل الله وآله وصحبه وحزبه وكان الفراغ من تصنيفه ليلة الجمعة السادسة والعشرين

من شهر صفر الخير من عام ستة وعشرين وثلثمائة

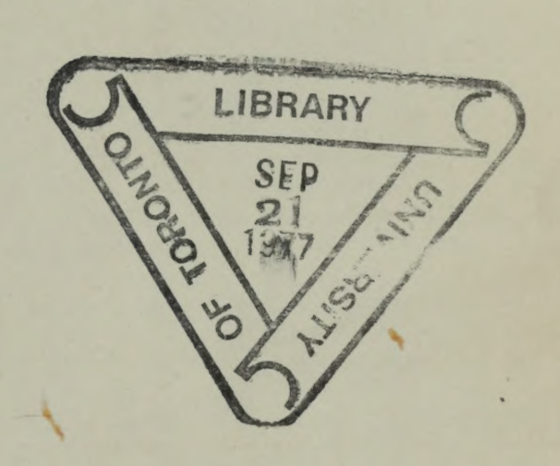
بعد الالف هجريه بمصر القاهرة

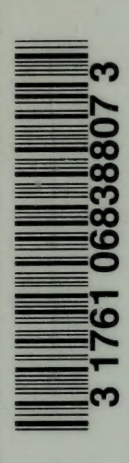
قال العلامة العامل الفاضل حضرة الاستاذ الشيخ عبد الرحيم الشهير بالسيوطى الجرجاوى صاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة وحيد زمانه ونادرة أوانه الآخذ بطرفى العلم والعمل ادام الله بقاه وأهلك أعداه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل جيد غانية حلاه قلائد * أم نور بدر بالاضاءة سائد
ام تحفة الالباب احسن صنعها * ذو فطنة حبر همام ماجد
خدن المحاسن ذو الاجادة مصطفى * من زينته هداية ومحامد
فالزم دراستها لقطف ثمارها * فالسر من ابوابها لك عائد
هذا وقد قال القبول مؤرخا * فى تحفة الالباب سر زائد
سنة ١٣٢٧   ٨٨٨٩٠ ٦٧ ٢٦٠ ٢٢

فهرست الكتاب




3 1761 06838807 3